حمد بن عبد اللطيف بن حمد بن عتيق

١٣٠٩ - ١٤٠١ هـ

استفتحت كتابي أعلام وعلماء عايشتهم بمقالي عن حمد بن عبد اللطيف في ثلاث صفحات وشيء وبعد اثني عشر من السنين من صدور هذا الكتاب ، عنّ لي أن أكتب ما في الذاكرة عن معلمي الأول ، وغارس نواة حب القرآن في الجنان وسنوات العمر سبع سنين ، فيها حملت اللوح الخشبي وتم تلقيني حروف الهجاء الثمانية

والعشرين حرفاً ، والنطق بالحركات ، وتأهلت لحمل المصحف الشريف في ثلاث سنوات ، هذه المدة كفيلة أن أعي ما عليه أستاذي من تصرفات وحركات وبالأخص النغمة القرآنية ولحن الترتيل بل والجلسة على أحسن هيئة بحسن اللباس والمظهر الخارجي والنطق العذب برفع الصوت أو خفضه أو الترسل به ، ظلت عيني شاخصة لمعلمي الأول على منضدة من الطين إذ لا كرسي يعرف آن ذاك ، يستقبلنا بوجهه ويلتف حيث حركة الطالب والطلاب تعليماً وتأديباً ، ومع ما عليه شدة المدرسين المطاوعة مع طلابهم ، وأقل ما يفعله فرص الديد حتى تحمر حلبته والصفعات على الوجه وفي القفا بالعصا بين المنكبين ، فإني لم أكن أحمل هماً أو خوفاً أو ترقب جزاء لسببين ، لصغر سني وقلة عبثي ، والغالب أن من كان في العاشرة فما فوق يكون عنده من العبث واللعب ما يوجب مجازاته بما هو أشد ، والسبب الثاني القرابة وعدم الهيبة والخوف منه في المدرسة أو خارجها فهو زوج عمتي وابن عم أبي وأنا الوحيد من الدارسين عنده من أقاربه .

سارت الأحوال على أحسن حال ، فكنت الطالب النجيب بالنسبة للأقران ، فخالي علي رفيقي في الدراسة يفتح علي ويساعدني ، وعمتي حين أوزرها تأمرني بالتسميع إذ هي المدرسة بجوار زوجها للبنات في المكان والزمان ، يفصل بين المدرستين حائط يسمع من خلفه الصوت ، وللعلم أن هذه المدرسة هي الوحيدة في

اللدام بالوادي، آلت إليه بعد عمه إسماعيل الذي توفي عام ١٣٤٧ هـ ، كما خلفه بالإمامة بمسجد البراز وبعد هذه التوطئة والديباجة ، أفتح لك باب الخزانة لتعرف المكنوز من آثار وأخبار ، لتترسم تلك الآثار ، فقد قيل لكل قوم وارث ولا وراثة خير من العمل الصالح النافع ، فقد حبر العلماء بياض القرطاس كما كان يدور بين الناس من خبر وأثر لتبقى بقاء الشمس والقمر ، لتضيء درب القافلة إلى منتهى الآخرة . لم يكن حمد من صناع الحديد ولا نجار الأخشاب ولا تجارة ولا زراعة ، غير البضاعة حمل الدين وتلقينه وإشاعة نور البصائر والبصيرة بالقدوة المثالية والأسوة المصطفوية لهدي خير البرية حيث قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) لهذه الخيرية كان حمد بن عبد اللطيف ، لعل القارئ ينتظر فتح الخزانة ليستمتع بلذةالمعاني ويضيف إلى بناء معنويته لبنه من المباني ، ولكن كما قيل :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم

فالهدم ونقض البناء من السهولة بمكان ، ولكن البناء هو حمل العناء وفحص الرجال ، ولذا كانت هوايتي كتابة التاريخ ، وبالأخص في محيط الأسرة

والأقربين ، كيما تنتقل وراثة العلم والقلم والمحبرة والقرطاس ، وهو خير ما يتوارثه الناس وأقول قول القائل :

لا خيل أهديها عندي ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

لا تعجل بفتح الخزانة ، فالأمر سيطول ولكن امنحني الصفح حين تقصيري عن التعبير وضياع ما في الذاكرة من تفكير وأنا القائل :

كتبت كغيري لا أخال كتابتي يضيق بها ذرعاً بنو أهل ملتي

ولكنما نقد الكتابة جائز وكل كتاب يعتريه بعض علة

إذا ما رأيت العيب ضمن سطوره ستلقىَ سطوراً غيرها هي حكمتي

تجاوز ولا تسخط وكن أنت شاهد على أنني حي وإن دفنت بتربتي

أقول ومن الله أستمد التوفيق والإعانة والتسديد ، حمد بن عبد اللطيف بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضه ، إلى حميضه انتهى ما هو بقلم الشيخ حمد في كتابه المحرر

عام ١٢٦٤ هـ ودرج عليه أبناءه ، إلا أن الشهرة كانت للجد عتيق الذي تنتمي إليه أسر في نجد وتسمى به أسر لا يتواصلون نسباً لآل الشيخ حمد وذويه ، غير أن حمد ينتسب لأبيه القريب عبد اللطيف فكانوا في الوادي يدعون بآل عبد اللطيف ، إذ كان والده العالم المعلم القاضي الداعي الورع ، الابن الثامن من أبناء الشيخ حمد الجد ، حدثني الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن حمد بن عتيق ، قال كنت عند الأمير سلمان وعنده أحد أخواله من السدارى ، فأراد أن يعرف بآل عتيق ، فقاطعه سلمان فقال هؤلاء أقطاب الأرض يعني أنهم قضاة ودعاة ومعلمون ، وللتوضيح كانوا قضاة في الرياض والغطغط والأفلاج والوادي ورنية ، أما المعلمون ورجال الحسبة وأئمة المساجدلا حصر لهم ولا تحديد لهم ، فلهذا كان التوارث البيئي الأسري في الأسرة رغم ما تنوعت به المعارف في الجامعات ، إلا أن هوايتهم الشريعة والعلوم العربية والانخراط في الوظائف التخصصية للعلوم الشرعية .

يتحاشون السمعة بالتفريط باليتيم القريب ، فكان صدور الأمر بنقلها إلى الأفلاج ، وعرضوا على المدير ومن معه الانتقال إلى ليلى ، فلم يكن ذلك مستساغاً لارتباطه بمسجده وجماعته ، وانتقلت المدرسة وتم تسليمها ، غير أن عايض البوصي وافق على الانتقال وظل فيها سنوات ، عاد كل إلى عمله ، عايض الشيبة لدكانه وحمد لمسجده وجماعته ، حيث لا طلاب عنده بعد افتتاح المدارس النظامية عام ١٣٦٨ هـ ، افتتحها الشيخ إسماعيل بن مسلم من أهل الوادي طالب علم إلى أن رتبها إدارياً وتولى إدارتها الشيخ عتيق بن سليم الحربي من مكة المكرمة .

وظيفة أخرى رسمية أو شبه رسمية يرشح لها حمد بن عبد اللطيف

وبعد فترة وجيزة من إغلاق دار الأيتام في الوادي ، جاء الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ شقيق رئيس الهيئات الشيخ عمر بن حسن ليفتتح مركز الهيئة في الوادي ويختار من يختار من الأعضاء ، ولما لآل الشيخ من ترابط معرفي وآل عتيق ، فقد قاموا بإكرامه مع من معه ، غير أن من تقدم بطلب وظيفة الحسبة أكثر من الوظائف ، ويلزم أن يكون في كل قرية من يمثل الحسبة ، عرضوا عليه رئاسة هيئات وادي الدواسر فلم يقبل لأسباب يعرفها وتم ترشيح محمد بن سعد بن ضرمان رئيساً لهيئة الوادي ، كما تم اختيار الأعضاء ، ومنهم حمد وأخوه عبد العزيز ولكن ما العمل والمتقدمون كثر والوظائف لا تستوعبهم والحاجة تدعو لهم ، فكان رأي ابن الشيخ أن يجعل كل اثنين في وظيفة واحدة بالتساوي ، فكان يكتب بجانب الاسم مشرك بتشديد الراء ، وحينما عرض على الملك فيصل كان يقرأها مشرك بتسكين الشين من باب التندر على هذا الأمر ، وأمر أن يوظف كل على حدة فكانوا مؤمنين غير مشركين .

مهمة صعبة حصل بها انشقاق وشجار وفتنة

قدم إلى الوادي لجنة من وزارة المالية لصرف العادة السنوية التي تدعى شرهة المناخ ، وطلبت اللجنة تصديق أئمة المساجد على البيانات المسجلة من قبل طالبي الشرهات أو من له شرهة سابقة بأسماء متعددة ، فأعتذر واستاء من هذا الطلب لعلمه بما عليه الأحوال فقد يكتب طالب الشرهة أسماء كأنهم أبناءه وليس لهم وجود ، فكانت المشادة بين أهل البيضاء والبراز ، يصدق المطوع أو لا يصدق ، فكان موقفاً حرجاً ، أعلن المطوع تخليه عن المسجد ولزم بيته ، فكانت الفتنة على أشدها كيف يتخلى عن المسجد من أجلهم ، فكانت المواجهة المسلحة قتل واحد من الطرفين [1] وتأزم الحال وكان محمد بن مرضي الواسطة بين الطرفين وانتهت إلى المحاكم الشرعية وتدخل الدولة وانتقل حمد بن عبد اللطيف إلى إمامة مسجد الحرارشة الذي هو يصلي فيه الجمعة كما هو خطيب الأعياد في الوادي .

فتنة أخرى بين المدارعة والحرارشة في الوادي

[1] ذكر لي أن المقتول يدعى عرار بن بتال من أهل البيضاء .

بعد أن تخلى حمد عن إمامة مسجد البراز الذي يصلي فيه المدارعة ، التزم بإمامة مسجد الحرارشة الحزيم وجماعتهم ، حصل فتنة بين الأسرتين قتل فيها وعلان بن غريب في صف المدارعة وانتهى الحكم بسجن القاتلين وهما اثنان من الحزيم بالسجن حتى بلوغ القصر أبناء المقتول ، حضرت المحاكمة حينها كنت ملازماً في محكمة الرياض عام ١٣٨٥ هـ ، وكان محمد ومبارك أخوان المقتول ممن يمارسان المحاماة لدى المحاكم الشرعية في الرياض ، وهما في طرف الحزيم في الطرف الآخر ، المدارعة ليسوا من الدواسر ولا ينتمون لهم لا بالحلف ولا بالمجاورة وفي سنوات قريبة كان تواصلهم مع شيخ شمل قحطان بن دليم هم والقير والنجار من سكان الوادي ممن لا ينتمون حسب العرف فحصل بهذا التواصل شهادة من ابن دليم بأنهم من قحطان ، وهذا مما زاد الجفوة بين الدواسر والمدارعة ، ولم يحصل من الأسر الأخرى ما حصل بين المدارعة والحرارشة ، أمضى السجناء ١٧ سنة في سجن الرياض حتى بلغ القصار وجرى الصلح .

التصنيف الطبقي في نجد وغيرة

قائم مقام التسليم بالواقع ولا مشاحنة ولا منازعة فالإسلام والوطن وتبادل المصالح والجيرة تجمع الكل ، وإن اختلفت السمات والصفات بسود أو بياض ، فكل من سكن الوادي وجاور فهو دوسري في البطاقات الشخصية ولدى الدولة رسمياً ، ومع هذا فإننا نقول أن البلد بلد الدواسر المنتمون بنسبهم إلى قحطان على الصحيح والوقائع التاريخية ، تثبت الوطنية الأولى لهم ، كما أنهم لم يتنازلوا جبلتهم البدوية التي تحمل الأسلحة وتبارز في الحروب وتعتدي بالقوة ويعتدى عليها ، ومن جاورهم تبع لهم لاسيما أرباب الحرف الذين لا قيادة ولا زعامة ولا افتخار بأمجاد وتاريخ ، فلنكن واقعيين يا معشر الطبقيين فلسنا قادة وللقادة سادة ، أراد الملك عبد العزيز رحمه الله أن يخفف من هذه النعرة ، فأمر بتشديد الميم سعيد بالتصغير الفيصل وهو عبد أسود من عبيدهم ، أمره على وادي الدواسر وأعطاه الصلاحية المطلقة بالسجن والتعزير والتنكيل فكان مهاب الجناب ، كما أمر على الوادي إبراهيم العرفج وهو من بني خضير ليقول للناس أنه لا فوارق طبقية عندنا فالكل سعودي .